

شيء : فانه لف أو تطويل لا موجب له ؛ وما أكثر ما أحببت ، وما أسرع ماسلوت ، وكم قلت لامرأة : « يا صاحبي لقد أحببتك ، ولكنني لم أحبك ليو جمعتي رأسي وقلبي ، فان كنت لا تحنين إلا تصدمني وتنشيف ريق ، وألا هذا الذي تسمينه دلالاً ، فلا يا ستي ويفتح الله عليك بغيري » وأدعها وأمضي ، ولا أعود بمسدها إلى ذكرها . وما أكثر ما قلت لنفسي : « ما هذا يا مازني ؟ إني أرى حبك قد طال ساعات ، وهذا شيء ، يُجل ويُسم ، وليس معقولاً أن تحب غائباً كأنه حاضر معك ! نعم معقول أن تحبه ساعة يكون إلى جانبك ، ولكن بمد أن يمضي عنك أو تمضي أنت عنه ، لا يُقبل منك أن يظل قلبك يتلفت إليه ويُشغل به عن سواه »

فتقول نفسي : « أي والله ، صحيح »

وأستلقي على سريري وأغمض عيني ، وأنا ، ثم أقوم وقد نسيت حتى اسم من أحببت . لهذا قلت لأصحابي « يارفاق ! ما قولكم ؟ »

قالوا : « ماذا ؟ »

قلت : « نزل من هذا القطار ونذهب نعدو إلى جانبه » فضحكوا ولم يسموا مني ، ولكنني كنت واثقاً أنني استطيع أن أسبقه على الرغم من عرجي ؛ وزلنا في « المريج » فلم نجد شجرة نجلس في ظلها ، ولا جداراً يقينا وقدة الشمس ، ولم نلح في الأفق البعيد شيئاً يفري بالأمل ، فقلت : أرجع إلى صحرائي فهي بي أرفق من هذا المريج فان لي فيها على الأقل بيتاً آوى إليه ، والذي لا يرضى بالخوخ يرضى بشرايه

وإنا لكذلك وإذا بضابط يقبل علينا ويحيي واحداً منا ، ويسأله عما جاء به ، فيخبره أنه جاء معنا ، ليشم النسيم ، ولكننا لا نجد مكاناً ظليلاً نميل إليه ، فيقول الضابط الكريم : « تعالوا عندي » ، فنسأله « عندك أين ؟ فانا لا نرى بيتاً ولا كوخاً » فيقول : « في مركز البوليس ، فاني ملاحظ النقطة ! » فينظر بعضنا إلى بعض وأقول : « نشم النسيم في مركز البوليس ! هذا جديد ! » وترددنا ، ولكنه ضابط بوليس ، وتحت أمره قوة كافية لارغامنا ، فقلنا : « لا بأس ! هي تجربة جديدة فلننظر ماذا عسى أن تفيدنا من المتمة ؟ وما يدربنا ؟ لعل مركز البوليس خير مكان تقضى فيه يومنا ! وما نظن أن أحداً جرب ذلك من قبل ، فهي ميزة نفرد بها ونستبد »

شم النسيم

في مركز بوليس !

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

اشتبهت مرة أن أخرج إلى الظل ، ورفاقٍ مبيضين مشابهِ ، وأن أجلس تحت شجرة عظيمة تميل على أفنانها من الرى واللبن ، فقلت لصاحب لي : « إني في أرض واسعة سهلة ، ولكنني كرهت مقامي بها ، وأنجزني منها أن لا أرى في فضاءها الرحيب عوداً ثابتاً ، ولا أسمع إلا صوت الرمال وهي تجري على رمالها وتوقع بعضه على بعض ، وغدا شم النسيم ، فتعال بنا إلى ناحية من الريف قريبة من بعض أرباض المدينة ، وعسى أن أحمد بقعة في طريقنا ، فأنزل بها وأسكنها ، فقد اجتويت الصحراء كما قلت لك ، وما أظن بي إلا أن الحنين إليها سيمادني ، ولكن البمدعنها سنة أوستين ، يكون كالاستجمام ، فماقولك ؟ »

قال : « ومخرج في شم النسيم ؟ »

قلت : « ومالي لا أفعل ؟ أهو حرام -- على وحدي ؟ » قال : « لا ، ولكنه يوم تكثر فيه العريضة ، وأبوى بك أن تلزم دارك — كمادتك »

قلت : « يا أخي ، الله يوسع لي في الأرض ، وأضيق على نفسي ! كلا ، ولن نعدم مكاناً ننأى فيه عن خجبات الكاري والمربدين ، فاختر لنا مكاناً ، وتوكل مي على الله »

فاختر « المريج »

وحلنا معنا كفايتنا من الطعام والشراب ، وكنا أربعة — أو خمسة ، لا أذكر — وركبنا قطار الزيتون وكان كالحمار الهساق البليد ، يمضي ويتوقف ، ويميل هنا وهناك ، ولا يزال يصلصل ، كأنما يقطع أرضاً أو يصنع شيئاً يستحق هذه الضوضاء ، وأنا امرؤ خلقني الله أكره التثاقل والاسترخاء ، وأحب أن أفرغ مما أكون فيه بأسرع ما أستطيع ، فشي قفز ، وأكلى لقم ، وكلامي لفظ ، وخطي أشبه بما تركه أرجل اللجاج على الرمل ، من فرط العجلة ؛ ولا صبر لي على دلال امرأة ، ولا أعرف التمهيد

البوليس « دون التبسط والرح ، واحتجت بعد ذلك أن أنام دقائق ، والنوم من عاداتي بعد الغداء ، فإذا حرمته حرمت اراحة ، وتفتت جسمي ، وغاض معين نشاطي ، وساء خلقي ، وانقلبت مخلوقاً شرماً مشاكساً ، وشريراً مجرماً ، تقذف عيناه بالشرر ، ومن أجل هذا تتخذني زوجتي هولة تخوف بي الأطفال والخدم .

فإذا رأت أني لم أنم بعد الظهر ، أقبلت تقول :

« تعال ! »

فأقول : « إلى أين ؟ »

فتقول : « تعال خوفاً الأطفال ، فانهم لا يريدون أن

يسكنوا ! »

فأقول : « ياسيدتي ، إن التخوف شر أساليب التربية »

فتقول : « دع هذه الفلسفة وقم ، فقد كاد رأسي يطير من

ضجيجهم ؟ ثم إن عند الجيران أطفالاً كثيراً يصيحون ، فأخرج

لهم وجهك من النافذة يخرسوا ، وفي الشارع رجال يتشاجرون

فأذهب اليهم واطردهم إلى شارع آخر »

فأهز رأسي وأقول : « تالله ما اشتغى إلا أن أخوفك

أنت ! » ثم أنهض آسفاً ، وأصدع بما أشرت ، فبهذا البيت

ويسكن الشارع ، ويخفت كل صوت حتى صوت الترام ،

فينشرح صدرها وتقرع عيناها ، وتتهجد مسرورة ، وتقول : « ليت

أنك لا تنام بعد الظهر أبداً ! »

فأسألها : « أنكريهين لي الراحة ؟ »

فتسألني مغالطة : « أنكريه لي أنت الراحة ؟ »

فلا أجد جواباً حسناً ، وأسألها : « هل أستطيع أن أنام

الآن ؟ »

فتقول : « وإذا قامت ضجيج جديدة ؟ »

فأقول : « اطمئني . . . وفي وسعك دائماً أن توقظيني لهم »

فتذهب تصف وجهي ممجبة بما يكون مرتباً عليه من

مظاهر الافزع وبواعث الرعب ، مباهية به وجوه القتلة

والسفاحين وقطاع الطريق ؛ ولكن هذا استطراد ، فلنرجع إلى

ما كنا فيه من شم النسيم

كان لا بد أن أنام ، فتمت على كرسيتين ، حططت نفسي

على واحد ، ومددت ساقى على الآخر ، ولم يكن هذا فراشاً وثيراً

بالمعنى الصحيح ، ولكن النسيم كان عليلاً في مركز البوليس ،

فأغفيت دقائق زعمها أحبابي ثلاثين ، وقالت لي عظامي للميضة

ودخلنا المركز ، فدبت أقدام الجنود ، وارتفعت أيديهم إلى رؤوسهم بالتحية ، ونحرت عيونهم دون وجوههم ، وجملت تنظر الينا وتبتمنا ونحن داخلون ومنا الملة فيها الطعام والشراب ، وصمدنا إلى غرفة فيها مائدة من خشب غير منجور ، وحولها كراسي ثقيلة ، وأنا نحيف هزيل ، يقول أحد الأطباء في وصف جسمي إنه شبكة من الأعصاب تحملها طائفة من العظام ، وتكسو هذه وتلك طبقة رقيقة من الجلد ، ولا لحم لي ولا شحم فأحتمل الجلوس على هذه الكراسي الناشفة ، ولكن ما حيلتي ؟

وجاءونا بأطباق وملاعق وسكاكين وأشواك وفوطر ،

فسألت الضابط :

« من أين لكم هذا ! »

قال : « ماذا تظن ؟ »

قلت : « أظنكم أخذتموها من اللصوص الذين وقعوا في

قبضتكم »

قال : « أو لعلنا سرقناها ؟ هيه ؟ »

قلت : « كل شيء جئ في هذه الدنيا ! ومتى صار جائزاً

أن نشم النسيم في مركز البوليس ، فكل شيء بعد ذلك هين

ومقبول ومعقول »

وكان الجنود كلما دخلوا علينا بصحن أو قلة ، أو كوب أو

فنجان ، يدبون بأحذيتهم الضخمة الثقيلة ، ويحيون ، ويضعون

ما في أيديهم الأخرى ، ثم يعودون إلى التحية واللب بالأرجل ،

ويخرجون ، وتكرر ذلك منهم ألف مرة ، فقلت للضابط :

« ألا تفهم من هذا التكليف ؟ »

قال : « إنهم جنود وقد ألفوا ذلك فليس في وسعهم إلا أن

يفعلوه »

قلت : « لو لم تكن معنا لما تكلفوه »

قال : « ولكني معكم »

قلت : « إذن فأعفنا نحن ، فانه لإزعاج »

فسأل : « كيف أصنع ؟ »

قلت : « والله لا أدري ! هل تستطيع أن تحتجني تحت المائدة

حين يدخل منهم واحد ؟ »

وأكلنا هنيئاً ، وشربنا مرثياً ، ولم تمنعنا هذه التحيات

والدباب أن نضحك ونمزح ، ولم يحل شعورنا بوجودنا في « مركز